سلسلة جهود العلماء في بيان الشرك

(١)

بيان الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية

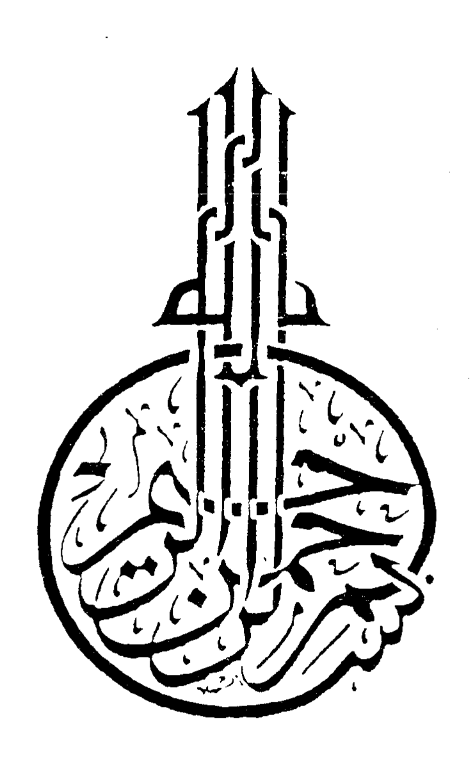
تأليف:

د. محمد بن عبدالرحمن الخميّس

دار الوطن

الرياض ـ شارع المعذر ـ ص.ب: ٣٣١٠

☎ ٤٧٩٢٠٤٢ ـ فاكس: ٤٧٦٢٠٦٨



بيان الشرك ووسائله
عند أئمة الحنفية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤١٣هـ

المقدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ . [سورة آل عمران، الآية : ١٠٢] .

﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبًا﴾ . [سورة النساء، الآية : ١] .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديدًا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزًا عظيمًا﴾ . [سورة الأحزاب، الآيتان : ٧٠، ٧١]

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل

بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد:

فإن لعلماء الحنفية الذين انتسبوا إلى أبي حنيفة في الفروع ووافقوه في الأصول جهودًا مشكورة في الرد على أهل البدع القبورية وبيان الشرك وأنواعه، ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

وهم بذلك يسيرون في ركب وقافلة العلماء من المالكية والشافعية والحنابلة الذين تصدوا لحماية جناب التوحيد ومحاربة البدع القبورية وغيرها وسد منافذ الشرك وذرائعه، **وهذا يدل على أن بعض من انتسبوا إلى الحنفية** قد بذلوا الجهد في محاربة البدع القبورية الشركية كغيرهم من أهل المذاهب فإن لهم في هذا الباب جهودًا مشكورة في الذب عن العقيدة الصافية من الشرك والبدع والدعوة إليها، متبعين أثر الأئمة كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم رحمهم الله جميعاً، **من أئمة أهل السنة والجماعة** الذين استفرغوا الوسع وبذلوا الجهد لحماية حرم التوحيد وصد هجمة الشرك وأهله، **وخلافًا لما ظنه البعض** من أن الحنابلة وحدهم هم الذين تصدوا لمحاربة البدع الشركية القبورية وغيرها، لكل هؤلاء أُقدِّم طرفًا من جهود **الحنفية** في هذا المجال لتكون حجة على المبتدعة وأتبعه إن شاء الله على حسب

الوقت والطاقة بما يبرز جهود علماء المالكية والشافعية في هذا المجال أيضًا، وسأورد نماذج من أقوال أئمة الحنفية في تعريف الشرك وأقسامه ووسائله وقد قسمت الموضوع إلى أربعة مباحث:

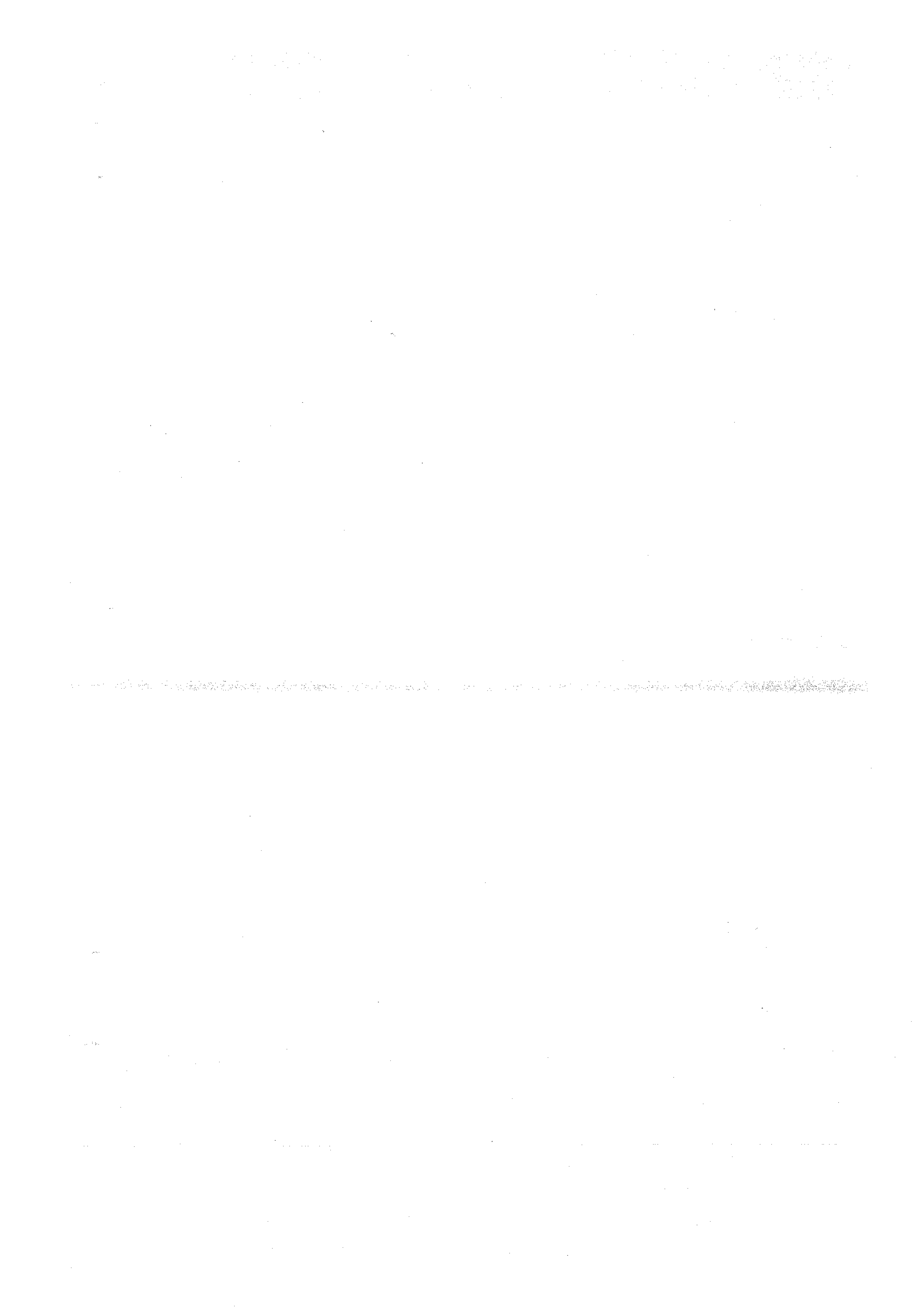
الأول: تعريف الشرك عند علماء الحنفية:

الثاني: أنواع الشرك عند علماء الحنفية.

الثالث: وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد.

الرابع: نماذج من الشرك التي بينها علماء الحنفية.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب وأن يجعله خالصًا لوجهه وفي موازيني يوم الحساب وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن **الحمد لله رب العالمين.**



المبحث الأول:

تعريف الشرك عند علماء الحنفية

وقبل الشروع في بيان معنى الشرك عند علماء الحنفية، يحسن بنا أن نبين **معنى الشرك في اللغة فنقول**:

الشرك لغة: الاسم من شركه في كذا يشركه شركًا وشركة، كأشركه كذا يشركه فيه إذا جعل له نصيبًا قليلاً أو كثيرًا في ذات، أو معنى، ومثله شاركه في كذا يشاركه فيه: كان شريكًا له فيه بقدر كبير أو صغير، في ذات أو وصف، وهو ـ أي الشرك ـ **شرعًا**: ضد التوحيد، كالكفر ضد الإيمان.

*** قال الإمام عبدالقادر[1] الدهلوي**:

«الشرك هو أن يعتقد المرء في غير الله صفة من صفات الله كأن يقول: إن فلانًا يعلم كل شيء أو يعتقد أن فلانًا يفعل ما

---

(١) هو عبدالقادر بن عبدالرحيم العمري الدهلوي الحنفي أحد العلماء المبرزين توفي سنة ١٢٣٠هـ انظر نزهة الخواطر ٧/٣٠٢ ـ ٣٠٤.

يشاء أو يدعي أن فلانًا بيده خيري وشري أو يصرف لغير الله من التعظيم ما لا يليق إلا بالله ـ تعالى ـ كأن يسجد للشخص أو يطلب منه حاجة أو يعتقد»[(١)].

ومن هذا التعريف يتضح أن الشرك عنده يشمل الشرك بالله ـ تعالى ـ في أفعاله أو صفاته، أو أفعال عباده المقصود بها عبادته.

* **وكذا قال الإمام محمد**[(٢)] **إسماعيل الدهلوي** والشيخ أبو الحسن الندوي واللفظ له: «إن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدًا بالله ويساوي بينهما بلا فرق. بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال خصها الله ـ تعالى ـ بذاته، العلية وجعلها شعارًا للعبودية ـ لأحد من الناس كالسجود لأحد والذبح باسمه والنذر له، والاستعانة به في الشدة والاعتقاد أنه حاضر وناظر في كل مكان وإثبات التصرف له، كل ذلك يثبت

---

(١) توضيح القرآن ١/١٠٥ (بالأردية).

(٢) هو محمد إسماعيل بن عبدالغني بن عبدالرحيم العمري الدهلوي الحنفي ولد في دهلي سنة ١١٩٣ توفي سنة ١٢٤٦هـ ومن مصنفاته تقوية الإيمان وتنوير العينين في إثبات رفع اليدين وغير ذلك.

به الشرك ويصبح به الإنسان مشركًا»[١].

فهذه التعريفات للشرك توضح بجلاء أن العديد من أئمة الحنفية لم يقتصروا في بيان الشرك وتعريفه على أمر الربوبية فقط، بل كما ترى فإنهم قد جعلوا صرف العبادة لغير الله أيًّا كان شركًا أكبر، وذلك هو الشرك الذي يحبط العمل ولا يقبل الله من فاعله صرفًا ولا عدلًا وهذا هو الشرك الذي قال الله فيه: ﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين**﴾ [سورة الزمر، الآية: ٦٥] وقال: ﴿**ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة**﴾[سورة البقرة، الآية: ٢١٧].وقال تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار**﴾ [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وقال ـ عز وجل ـ: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء**﴾ [سورة النساء، الآية: ٤٨]

فالمشرك عمله حابط وهو من الخاسرين والجنة محرمة عليه ولن يغفر الله له شركه أبدًا.

---

(١) تقوية الإيمان ٢٢ ـ ٢٣ (بالأردية). ورسالة التوحيد للندوي ٣٢ ـ ٣٣.

فكل هذه الصور والأنواع التي ذكروها وأوردوها هي من الشرك الأكبر الذي ظهر عند المتقدمين من العرب وبقي في هذه الأمة، وقد زين لهم الشيطان هذه الأعمال واحتجوا لها بالحجج الواهية كما قال ـ تعالى ـ عنهم: ﴿**ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾ [سورة الزمر، الآية: ٣] وقال أيضًا: ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله**﴾ [سورة يونس، الآية: ١٨] وغير ذلك، **هذا مع أنهم في ذات الوقت** يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر كما حكى ذلك عنهم ـ تعالى ـ فقال: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٥].

فانظر إلى هذا التناقض العجيب والضلال الغريب! الله هو الذي خلقه ورزقه، ويقر بذلك ثم يعبد غيره! سبحان الله عما يشركون.

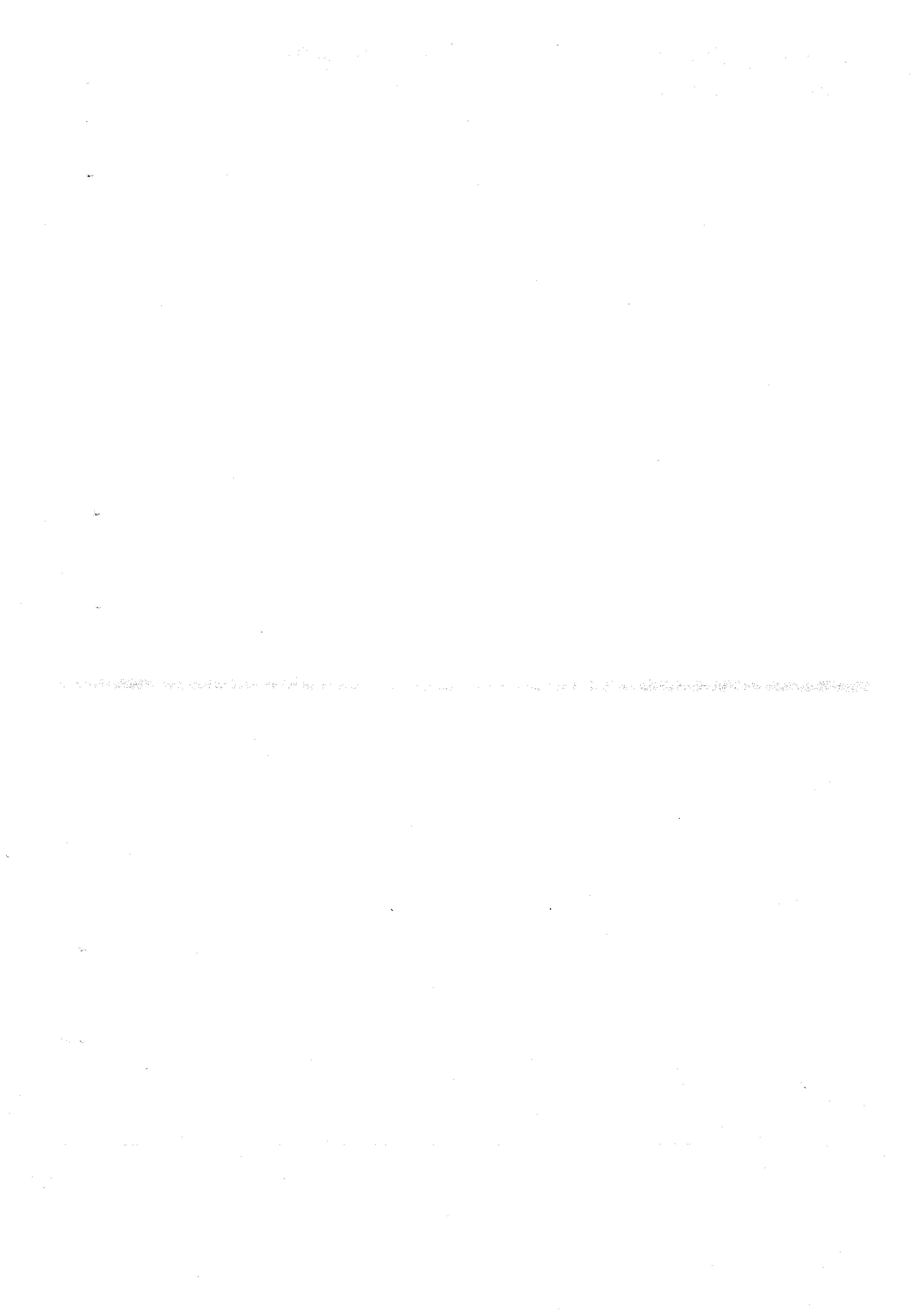
ولكون كثير من الجهال يعتقدون بأن توحيد الربوبية هو المطلوب وكفى، سهل عليهم الوقوع في شرك الألوهية فصرفوا العبادة لغير الله، دعاء واستغاثة وغيرهما وما دروا أن (الدعاء هو

العبادة)[1] كما قال النبي، صلى الله عليه وسلم.

لهذا فإن الوقوع في هذا النوع من الشرك كثير الحدوث سهل الوجود عند كثير من الجهال ومن أسباب ذلك تقصير أهل العلم وانحراف بعض المنتسبين إلى العلم في هذا الباب وغير ذلك ولكن من خلال كلام علماء الحنفية السابق في بيان أنواع الشرك يظهر واضحًا أنهم ساووا بين الشرك في الربوبية والشرك في العبودية وفي الصفات، ولم يقتصروا على نوع منها بل ذكروها كلها.

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٢٦٧، ٢٧٦، ٢٧. وأبوداود ٢/١٦١ في الصلاة باب الدعاء ح ١٤٧٩ والترمذي له (٢١١) ح ٢٩٦٩ في التفسير باب ومن سورة البقرة (٥/٣٧٤) ح ٣٢٤٧ باب ومن سورة المؤمن و٥/٤٥٦ ح، ٣٣٧٢ في الدعاء باب ما جاء في فضل الدعاء وابن ماجه (٢/١٢٥٨) ح ٣٨٢٨ في الدعاء باب فضل الدعاء والبخاري في الأدب المفرد ص ١٠٥ وابن أبي شيبة في المصنف ٦/٢١ح ٢٩١٦٧ باب فضل الدعاء وابن حبان ٢/١٢٤ ح ٨٨٧ (إحسان) والبيهقي في الشعب ٢/٣٧ ح ١١٠٥ والحاكم في المستدرك ١/٤٩١ وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وابن جرير في التغيير (٢٤/٧٨، ٧٩) جميعهم من طريق يسيع الكندي عن النعمان بن بشير مرفوعًا.



المبحث الثاني:

أنواع الشرك عند علماء الحنفية

عند استعراض الأنواع المذكورة لاحقًا يتضح لنا جليًّا أنها لم تقتصر على جانب الربوبية فقط بل تعدتها كما يأتي لبيان الشرك في العبودية (الألوهية) بل وإلى بيان الشرك في أسماء الله وصفاته وذلك بإسباغ شيء من صفاته ـ تعالى ـ على أحد من المخلوقين أو بالغلو في أحد من الخلق حتى يرفع إلى درجة الإله المعبود.

وإليك أقوال[١] بعض علماء الحنفية في بيان أنواع الشرك وأقسامه:

---

(١) يلاحظ أن أقسام الشرك التي سيذكرها علماء الحنفية هي مجرد صور للأعمال الشركية التي تقع في بعض المجتمعات الإسلامية لعموم الجهل ولاشك أنهم اجتهدوا بهذا العمل فلو ذكروا الشرك في العبادة مجملاً مع سوق الأدلة لكان في نظري أجدى أما وإنهم فصلوا في بيان أنواع الشرك فالعبادات التي يقع فيها شرك غير محصورة في الأعمال المذكورة بل هناك كثيرٌ غيرها فلماذا اقتصر على هذه الحنفية فقط؟ إلا أنها تثبت صحة ماذهبنا =

١ ـ قال الإمام أحمد السرهندي[(١)] :

الشرك قسمان :

الأول: الشرك في واجب الوجود.

والثاني: الشرك في العبادة .

٢ ـ قول الإمام[(٢)] **أحمد الرومي** والشيخ سجان بخش الهندي حيث ذكرا ستة أقسام منها:

= ماذهبنا إليه من اهتمام كثير من علماء الحنفية بالتحذير من الشرك في أعمال العبادة .

(١) هو أحمد بن عبدالأحد السرهندي الحنفي الماتريدي النقشبندي له بيان العقائد على مذهب الماتريدية وتهذيب طريقة الصوفية ورسالة في إثبات النبوة وأخرى في الرد عل الشيعة الإمامية وغير ذلك توفي سنة ١٠٣٤هـ بمدرسة سرهند ودفن بها انظر ترجمة في نزهة الخواطر ٥/٤٣ ـ ٥٥ .

(٢) هو أحمد بن محمد الأقحصاري الحنفي ويعرف بالرومي من علماء الدولة العثمانية وله تصانيف واشتغال بعلوم الشريعة تدريسًا وإفتاء وتصنيفًا توفي سنة ١٠٤٣هـ انظر ترجمته في هداية العارفين (١/١٥٧) ومعجم المؤلفين (٢/٨٣).

(شرك التقريب وهو عبادة غير الله للتقرب[١] إلى الله)[٢].

٣ ـ **وذكر التهانوي**[٣] عدة أنواع للشرك منها:

١ ـ شرك في العبـادة[٤].

٢ ـ الشرك في الطاعة[٥].

---

(١) والدليل قول الله تعالى: **﴿وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾** [سورة الزمر، الآية: ٣].

(٢) مجالس الأبرار على خزينة الأسرار (١٥٠ ـ ١٥٢).

(٣) هو محمـد بن علي بن حامد بن صابر الحنفي العمري التهانوي متكلم أديب فقهي ماتريدي كان حيًا قبل سنة ١١٥٨هـ انظر ترجمة نزهة الخواطر ٢٧٨/٦ ومعجم المؤلفين (٤٧/١١).

(٤) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: **﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾** [سورة النحل، الآية: ٣٦]. وقوله ـ تعالى ـ: **﴿لقد أرسلنا نوحًا إلى قومه فقال يا قومي اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾** [سورة الأعراف: الآية: ٥٩]. وقوله: **﴿لا تجعل مع الله إلهًا آخر فتقعد مذمومًا مخذولاً﴾** [سورة الإسراء، الآية: ٢٢]. يقول لا تصرف عبادتك لغير الله وذلك بعبادة غيره.

(٥) وذلـك في مثـل قول الله ـ تعـالى ـ: **﴿ألم أعهـد إليكم يابني آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾** [سورة يس، الآية: ٦٠]. يقول: ألا تطيعوا الشيطان وتتبعوه فيما يأمركم به من معصية الله فعبادته طاعته كما قال ـ تعالى ـ: **﴿يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيًا﴾** [سورة مريم، الآية: ٤٤].

٣ - الشرك في التسمية (١).

---

(١) يحتمل أن يراد به التسمية بغير الله - تعالى - عند الذبح وهنا قال الله - تعالى -: ﴿**ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق**﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٢١]، وقال - تعالى -: ﴿**إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله**﴾ [سورة البقرة، الآية: ١٧٣]. ويحتمل أن يراد به تسمية المولود بالعبودية لغير الله كما يقال عبدالحارث وعبدالعزى قال - تعالى -: ﴿**فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء فيما آتاهما**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١٩٠]. أي جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بإيجاده، والنعمة به، وأقر به أعين والديه، فعبّداه لغير الله. أي إما أن يسمياه بعبد غير الله كـ«عبدالحارث»، «عبدالعزى» و «عبدالكعبة» ونحو ذلك. أو يشركا في الله في العبادة، بعد ما منَّ الله عليهما بما منَّ به، من النعم التي لا يحصيها أحد من العباد وهذا انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام، في آدم وحواء. ثم انتقل الكلام في الجنس، ولاشك أن هذا موجود في الذرية كثيراً فلذلك قررهم الله على بطلان الشرك، وأنهم في ذلك ظالمون، أشد الظلم، سواءً كان الشرك في الأقوال، أم في الأفعال. فإن الله هو الخالق لهم، من نفسٍ واحدة، الذي خلق منها زوجها وجعل لهم من أنفسهم أزواجًا، ثم جعل بينهم من المودة والرحمة، ما يسكن بعضهم إلى بعض، ويألفه، ويلتذّ به. ثم هداهم إلى ما به يحصل الشهوة واللذة والأولاد والنسل ثم أوجد الذرية في بطون الأمهات وقتًا موقوتًا، تتشوف إليه نفوسهم ويدعون الله أن يخرجه سويًّا صحيحًا، =

٤ ـ الشرك في العلم[(١)]

٥ ـ الشرك في القدرة[(٢)]) [(٣)] .

٤ـ **وذكر الإمام ولي الله الدهلوي**[(٤)] عدة أقسام للشرك هي :

(١ ـ الشرك في السجود [(٥)].

= الله عليهم النعمة وأنالهم مطلوبهم . أفلا يستحق أن يعبدوه ، ولا يشركوا في عبادته أحدًا ويخلصوا له الدين» انظر تيسير الرحمن ٩/١٢٨ ـ ١٣٠ .

(١) وذلك لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا**﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٦]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله**﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥].

(٢) كما في قوله الله ـ تعالى ـ: ﴿**قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعوكم أو يضرون**﴾ [سورة الشعراء، الآيتان: ٧٢، ٧٣]. وكما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقًا**﴾ [سورة العنكبوت، الآية: ١٧].

(٣) كشاف اصطلاحات الفنون ٤/١٤٦ ـ ١٥٣ .

(٤) هو أحمد ولي الله بن عبدالرحيم بن وجيه الدين العمري الدهلوي أحد علماء الدين المتضلعين من مصنفاته الفوز الكبير والبدور البازغة وحجة الله البالغة وغيرها توفي ـ رحمه الله ـ سنة ١١٧٦هـ بمدينة دهلي انظر نزهة الخواطر ٦/٣٩٨/ ٤١٥ .

(٥) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**فاسجدوا لله واعبدوا**﴾ .[سورة النجم، الآية: ٦٢].

٢ ـ الشرك في الاستعانة [١].

٣ ـ الشرك في النذر [٢].

٤ ـ الشرك في التسمية [٣].

٥ ـ الشرك في الطاعة في التحريم والتحليل [٤].

---

(١) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ [سورة الفاتحة، الآية: ٥]. وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: «**وإذا استعنت فاستعن بالله**» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما.

(٢) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**يوفون بالنذر ويخافون يومًا كان شره مستطيراً**﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٧] وانظر كلام الحنفية في ذلك حاشية عابدين على الرد المحتار ٢/٤٣٩، ٤٤٠ والإبداع في مضار الابتداع ص ١٨٩ وكتاب زيارة القبور ص ٢٩/ والمجالس الأربعة ص ١٤. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ [سورة الحج: ٢٩]. والبحر الرائق ٢/٢٩٨، وروح المعاني ١٧/٣١٣.

(٣) سبق الكلام فيه والإشارة إلى مقصوده ودليله.

(٤) كما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١]. وكما في تفسيرها عند الترمذي وغيره «**ألم يحلوا لهم الحرام ويحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم؟ قال: بلى قال: فتلك عبادتهم إياهم**»

٦ ـ **الشرك في الذبح**[1].

٧ ـ تسييب السوائب والبحائر[2].

---

(١) والدليل قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين**﴾. [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].
وكما في قول الله ـ تعالى ـ: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾. [سورة الكوثر، الآية: ٢]. وانظر كلام الحنفية في ذلك كتاب تحفة الفقهاء ٣/٦٧.

(٢) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب**﴾ [سورة المائدة، الآية: ١٠٣]. هذا ذم المشركين الذين شرعوا في الدين، ما لم يأذن به الله، وحرموا ما أحل الله. فجعلوا بآرائهم الفاسدة شيئًا من مواشيهم محرمًا، على حسب اصطلاحاتهم التي عارضت ما أنزل الله فقال: ﴿**ما جعل الله من بحيرة**﴾ وهي: ناقة يشقون أذنها ثم يحرمون ركوبها ويرونها محترمة، ولا سائبة وهي: ناقة أو بقرة أو شاة إذا بلغت سنًّا اصطلحوا عليه سيبوها، فلا تركب ولا يحمل عليها، ولا تؤكل، وبعضهم ينذر شيئًا من ماله، يجعله سائبة.
«**ولا حام**» أي جمل يحمى ظهره عن الركوب والحمل إذا وصل إلى حالة معروفة بينهم. فكل هذه مما جعلها المشركون محرمة بغير دليل ولا برهان وإنما ذلك افتراء على الله، وصادرة من جهلهم وعدم عقلهم» انظر تيسير الرحمن ٢/٣٥٢.

٨ ـ الشرك في الحلف [١] [٢].

٩ ـ الشرك في الحج لغير الله [٣] [٤].

---

(١) هذا إذا كان الحالف معتقدًا في المحلوف به شيئًا من الكمال والعظمة التي لا تنبغي إلا لله أو كان مساويًا له بالله، وإلا فإن مجرد الحلف باللسان فقط شرك أصغر ولا يخرج من الملة.

(٢) لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**من حلف بغير الله فقد كفر**» أخرجه أبوداود والحاكم وأحمد وغيره.

وفي رواية: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» أخرجه أحمد.

وجاء عن الإمام أبي حنيفة النهي عن الحلف بغير الله فقد قال الإمام أبوحنيفة: «لا يحلف إلا بالله متجردًا بالتوحيد والإخلاص» انظر بدائع الصنائع ٣/٨.

وقال ابن نجم الحنفي عمن حلف بغير الله: «ويخاف الكفر على من قال بحياتي وحياتك» انظر البحر الرائق ٥/١٢٤ وانظر كلام الحنفية في ذلك في الفتاوى الهندية ٦/٣٢٣، ٣٢٥، ٣٢٦ والبحر الرائق ٣/٨٨، ٥/١٢٤.

(٣) لقوله ـ تعالى ـ: ﴿**ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٩٧].

(٤) حجة الله البالغة ١/١٨٣، وفي الطبعة الجديدة ١/٥٤٣ ومثله في البدور البازغة ١٢٥/١٢٧.

٥ ـ وذكر الشاه محمد إسماعيل[١] عدة أقسام هي:

١ ـ **الشرك** بدعاء الأولياء والاستغاثة بهم[٢].

٢ ـ **الشرك** بالنذر والذبح للأولياء[٣].

٣ ـ **الشرك** بالاستعانة بالأولياء[٤].

٤ ـ **الشرك** في التسمية بأن ينسب الأولاد إلى الأولياء بمعنى أنهم من عطاء غير الله وهبة غير الله كنحو عبد النبي، وهبة علي، هبة حسين، هبة المرشد، هبة المدار، هبة سالار وذلك طمعًا في رد البلاء عنهم.[٥].

٥ ـ **الحلف بغير الله**[٦].

---

(١) تقدم ترجمته.

(٢) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ولا تدعُ من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك﴾ [سورة يونس، الآية: ١٠٦]. وقوله ـ تعالى ـ: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٩] وانظر روح المعاني ١١/٩٨، ٦/١٢٩.

(٣) سبق سوق أدلتها.

(٤) سبق سوق أدلتها.

(٥) سبق سوق أدلتها.

(٦) سبق سوق أدلتها.

٦ ـ إرسال الظفيرة لغير الله باسم ولي من أولياء الله .

٧ ـ إلباس الولد لباسًا خاصًّا باسم الولي .

٨ ـ صفد الابن بقيد في رجله باسم ولي من أولياء الله .

٩ ـ السجود لغير الله[١].

١٠ ـ اعتقاد علم الغيب لغير الله[٢].

١١ ـ إثبات قدرة التصرف لغير الله[٣].

ثم قال بعد ذلك: «كل ذلك يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركًا»[٤].

---

(١) سبق سوق أدلتها وانظر البحر الرائق ٥/١٢٤ والمرقاة ٢/٢٠٢ . وروح المعاني ١٧/٢١٣ .

(٢) سبق سوق أدلتها وانظر كلام حكم من ادعى علم الغيب في كتب الحنفية الآتية: الفتاوى الهندية ٦/٣٢٣ ـ ٣٢٥، ٣٢٦ والبحر الرائق ٣/٨٨، ٥/١٢٤ .

(٣) سبق سوق أدلتها وانظر كلام الحنفية في البحر الرائق ٢/٢٩٨ وروح المعاني ١٧/٢١٣ والإبداع ص١٨٩ .

(٤) تقوية الإيمان ١٩/٢١ (الطبعة الأردية) ورسالة التوحيد للندوي ٢٥/٣٣ .

*** وذكر الإمام محمد بن إسماعيل الدهلوي عدة أقسام في موضع آخر هي:**

«١ ـ الشرك في العلم[1].

٢ ـ الشرك في التصرف[2].

٣ ـ الشرك في العبادة[3].

٤ ـ الشرك في العادة أي الأعمال»[4].

وتبعه الشيخ الندوي وشدد النكير على القبورية[5].

---

(١) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء**﴾ [سورة البقرة، الآية: ٢٥٥].

(٢) لقول الله ـ تعالى ـ: ﴿**قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له**﴾[سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣].

(٣) سبق الكلام عليه.

(٤) رد الإشراك ص ١٦ ـ ١٧.

(٥) رسالة التوحيد ص ٣٤ ـ ٤٠.



المبحث الثالث:

وسائل الشرك التي حذر منها علماء الحنفية لحماية جناب التوحيد

لقد صرح علماء الحنفية بالنهي عما هو من وسائل الشرك كتجصيص القبور والبناء عليها[1] وتعليتها[2] والكتابة

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «نهى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناء» ولمعرفة موقف أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ وكثير من أتباعه من هذه القضايا راجع: بدائع الصنائع (١/ ٣٢٠)، تحفة الفقهاء (٢/ ٢٥٦)، المتانة ص (٢٠١) وفتح الملهم (٢/ ١٢١، ١٢٢)، معارف السنن (٣/ ٣٠٥، ٣٠٧)، حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح ص (٣٣٥)، حاشية رد المحتار لابن عابدين (٢/ ٢٣٧)، الفتاوى الهندية (١/ ١٩٤) البحر الرائق (٢/ ١٩٤)، المبسوط (٢/ ٦٢)، حاشية مراقي الفلاح (ص٤٠٥) والإبداع ١٩٧ وزيارة القبور ص٢٩.

(٢) لما ورد عند مسلم وغيره عن علي ـ رضي الله عنه ـ أن النبي، صلى الله عليه =

عليها[١] واتخاذها مساجد[٢] وإسراجها[٣] واستقبالها للصلاة

= وسلم، بعثه وأمره ألا يدع قبرًا مشرفًا إلا سواه.

وللاستزادة في معرفة موقف أئمة الحنفية من ذلك راجع تبيين الحقائق للزيلعي (١/٢٦٤) فتح الملهم (٢/٥٠٦) وروح المعاني (١٥/٢٣٧) وفتح القدير (٢/١٤١).

(١) لما أخرجه أبوداود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبي، صلى الله عليه وسلم، نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها» وللتعرف على موقف الحنفية راجع: بدائع الصنائع (١/٣٢٠) وتحفة الفقهاء (٢/٢٥٦) وتبيين الحقائق (١/٢٦٤) وحاشية مراقي الفلاح ومراقي الفلاح (٤٠٥) والإبداع ص١٩٧.

(٢) قال النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» يحذر ما صنعوا متفق عليه، وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك**» أخرجه مسلم وغيره وراجع لمعرفة موقف الحنفية: تبيين الحقائق (١/٢٦٤) وروح المعاني (١٥/٢٣٧) والمرقاة في شرح المشكاة (٢/٢٢) والكواكب الدراري (١/٣١٦، ٣١٧) زيارة القبور للبرعوي ص **٢٩** والمجالس الأربعة ص **١٣**.

(٣) في الحديث: «**لعن رسول الله زورات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**» أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الكواكب الدراري (١/٣١٧) والإبداع ص**١٨٩** زيارة القبور ص**٢٩** =

والدعاء[1] واتخاذها أعيادًا[2] وشد الرحال إليها [3].

= والمجالس الأربعة ص ١٣.

(١) أخرج مسلم وغيره أن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها**» وقد كره أبوحنيفة استقبال قبر النبي، صلى الله عليه وسلم، وقت الدعاء. وانظر: التوسل والوسيلة (ص ٢٩٣) وروح المعاني (٦/١٢٥) ومجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر (١/٣١٣).

(٢) أخرج أبوداود عن أبي هريرة مرفوعًا: «**لا تجعلوا بيوتكم قبورًا، ولا تجعلوا قبري عيدًا وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**» وراجع لمعرفة موقف الحنفية: الابداع ص ١٨٥.

(٣) أخرج أحمد عن أبي سعيد قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى**».

المبحث الرابع:

نماذج من الشرك التي حذر منها علماء الحنفية

مما قد يكون مدعاة للاستغراب بعد أن بينا أن المشركين من العرب لم يشركوا في أمر الربوبية بل في أمر الألوهية، أقول مما قد يستغرب القول بأن هناك الكثير من المظاهر لوجود شرك في الربوبية بين أفراد الأمة الإسلامية اليوم، غير أن هذا الاستغراب سوف يزول لاشك إن وقف القارىء على بعض هذه المظاهر التي سوف يأتي ذكرها في هذا المبحث، وقد أطيل في بعض النقول لأهميته.

* **وقال محمد علاء الدين الحصكفي**(١) فيمن نذر لغير الله:

«واعلم أن الذي يقع للأموات من أكثر العوام وما يؤخذ من

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الحصني المعروف بعلاء الدين الحصكفي مفتي الحنفية في دمشق من تصانيفه الدر المختار في شرح تنوير الأبصار وإفاضة الأنوار على أصول المنار توفى سنة ١٠٨٨هـ انظر خلاصة الأثر ٤/٦٣ـ ٦٥ والأعلام ٦/٢٩٤.

الـدراهم للشمـع والزيت ونحوهما إلى ضرائح الأولياء الكرام تقربًا إليهم هو بالإجماع باطل وحرام»[١].

*** قال ابن عابدين شارحًا هذا النص:**

«قـوله: تقربًا، كأن يقول: ياسيدي فلان إن رد غائبي أو عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب أو الفضة أو من الطعام أو من الشمع والزيت كذا قوله «**باطل وحرام**» لوجوه منها أنه:

«نـذر لمخلوق والنـذر لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك..»[٢]

*** وقـال الآلـوسي واصفـا حال المستغيثـين بغير الله** وتعلقهم الشديد بالأموات حيث صرفوا لهم أنواعًا من الطاعات كالنذر وغيره: (وفي قوله ـ تعالى ـ: **﴿إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابًا﴾**. [سورة الحج، الآية:٧٣]. إشارة إلى ذم الغالين في أولياء الله ـ تعالى ـ حيث يستغيثون بهم في الشدة ـ أي الأولياء ـ غافلين عن الله ـ تعالى ـ وينـذرون لهم النذور، والعقلاء منهم يقولون إنهم وسائلنا إلى

---

(١) الدر المختار مع رد المحتار ٢/ ٤٣٩.

(٢) رد المحتار على الدر المختار ٢/ ٤٤٩ ـ ٤٤٠.

الله - تعالى - وإنما ننذر لله - عز وجل - ونجعل ثوابه للولي ولا يخفى أنهم في دعواهم الأولى أشبه الناس بعبدة الأصنام القائلين: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ ودعواهم الثانية لا بأس بها لو لم يطلبوا منهم بذلك شفاء مريضهم أو رد غائبهم أو نحو ذلك.

* قال محمد بن يحيى بن محمد الكندهلوي الحنفي[1]:

«وأما اتخاذ المساجد عليها فلما فيه من الشبه باليهود باتخاذهم مساجد على قبور أنبيائهم وكبرائهم ولما فيه من تعظيم الميت وشبه بعبدة الأصنام».. وإما اتخاذ السرج عليها فمع ما فيه من إسراف في ماله المنهي عنه بقوله - تعالى -: ﴿إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورًا﴾ [سورة الإسراء، الآية: ٢٧].

ففيه تشبه باليهود فإنهم كانوا يسرجون المصابيح على قبور

---

(١) هو محمد يحيى بن محمد بن إسماعيل الكاندهلوي الحنفي كان أديبًا وعالمًا فاضلاً ذا ملكة علمية راسخة من مصنفاته الكواكب الدراري توفي سنة ١٣٣٤هـ. انظر مقدمة محقق المصنف لابن أبي شيبة ١/ ٢٧ العناقيد الغالية ص ٤٧.

كبرائهم وتعظيم للقبور وانشغال بما لا يعنيه . . »[٣] .

*** وقال الآلوسي الحنفي:**

«ولقد رأيت من يبيح ما يفعله الجهلة في قبور الصالحين من إشرافها وبنائها بالحجر والآجر وتعليق القناديل عليها والصلاة إليها والطواف بها واستلامها والاجتماع عندها في أوقات مخصوصة إلى غير ذلك . . **وكل ذلك محادة لله ـ تعالى ـ ورسوله** ، صلى الله عليه وسلم ، وإبداع دين لم يأذن به الله ـ عز وجل ـ . . ويكفيك في معرفة الحق تتبع ما صنع أصحاب رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في قبره عليه الصلاة والسلام ، وهو أفضل قبر على وجه الأرض . . والوقوف على أفعالهم في زيارتهم له ، والسلام عليه عليه الصلاة والسلام .

«فتتبع ذاك وتأمل ما هنا وما هناك والله ـ سبحانه وتعالى ـ يتولى هداك . . »[٤] .

*** وقال الإمام ولي الله الدهلوي:**

«وإذا كنت ـ **أيها القارىء** تتوقف بصحة ما يقال عن عقائد

---

(١) الكواكب الدراري (١/ ٣١٦ ـ ٣١٧) .

(٢) روح المعاني (١٥/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠) .

المشركين وأعمالهم فانظر إلى المخرفين في هذا العصر، لاسيما من يقطنون منهم بأطراف دار الإسلام، ما هي تصوراتهم عن «**الولاية**»، فرغم أنهم يعترفون بولاية الأولياء المتقدمين، يرون وجود الأولياء في عصرنا هذا من المستحيلات، ويؤمون القبور والعتبات، وقد ابتلوا بأنواع من الشرك والبدع والخرافات، وتمكن منهم التحريف والتشبيه، وتغلغل في نفوسهم حتى لم تبق بحكم ما جاء في الحديث الصحيح: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم.. الخ**» بلية من البلايا ولا فتنة من الفتن إلا وطائفة من طوائف المسلمين - اسمًا - تخوض فيها وتتعلق بها، عافانا الله - سبحانه - عن ذلك.

وبالجملة فإن رحمة الله - تعالى - اقتضت بعثة سيد الأنبياء محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه في الجزيرة العربية، وأمره بإقامة الملة الحنيفية، ومجادلة هذه الفرق الباطلة عن طريق القرآن العظيم، وقد كان الاستدلال في مجادلتهم بالمسلمات التي هي من بقايا الملة الإبراهيمية، ليتحقق الإلزام ويقع الإفحام»[1] وقال في البدور البازغة: صدق رسول الله،

---

(١) الفوز الكبير ص ٢٦ وانظر الطبعة القديمة ص ٢٠.

صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «**لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعًا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب اتبعتموهم، قالوا يارسول الله: اليهود والنصارى قال: فمن؟**»(١).

ألا ترى أن مشركي مكة كانوا يذعنون بانصرام سلسلة الوجود إلى الله كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله**﴾ [سورة لقمان، الآيه: ٢٥] وما أغناهم ذلك عن الإشراك بالله ـ تعالى ـ، وربما قرع سمعك فيما يسرد من الأخبار أن العلم سيرفع بين يدي القيامة فيتمارى رجلان، **يقول أحدهما**: إياك ستين **ويقول الآخر**: إياك سبعين فيرفعان القضية إلى أعلمهم. **فيقول**: إياك تسعين وأقسم بالذي نفسي بيده إنه قد وقع في آيات آخر، فلست أرى أحدًا إلا وفيه الإشراك كما قال ـ عز وجل ـ: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٦] وكفّر الله ـ تعالى

---

(١) أخرجه البخاري كتاب أحاديث الأنبياء باب ما ذكر عن إسرائيل (٦/٤٩٤)، (٣٤٥٦) كتاب العلم باب اتباع سنن اليهود والنصارى ومسلم (٤/٢٠٥٤) ح (٢٦٦٩) كلاهما من طريق عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري.

سبحانه ـ مشركي مكة لقولهم لرجل سخي كان يلت السويق للحجاج أنه نصب منصب الألوهية فجعلوا يستعينون به عند الشدائد.

ولقد علمنا الصادق المصدوق عليه أفضل الصلوات وأيمن التحيات فيما أخرجه الترمذي عن عدي بن حاتم أنه قال: سمعته يعنى رسول الله، صلى الله عليه وسلم، يقرأ: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله**﴾. [سورة التوبة، الآية: ٣١]. **قال: إنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه وإذا حرموا عليهم شيئًا حرموه**»[1]. **فقد علمنا أن الشرك ليس بمحصور في العبادة**، بل قد يكون بهذا النحو ولعل رجلاً عريض القفا يقول وكيف هذا وما سمعنا رجلاً يقول بذلك **فنقول له**: اعلم أن التحريف ليس هو اعتياض لفظ مكان لفظ كما وقف عليه فهوم العامة، بل شأن التحريف أهول من ذلك ـ وأكثر أنواعه وجودًا أن يقلب اللفظ من ظاهر مراده إلى هواه وهواجس نفسه، فقد أشار السيد عليه

---

(١) كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة (٥/٢١٨) ح (٣٠٩٥) وابن جرير في (١٠/١١٤) والبيهقي في السنن (١٠/١١٦) جميعهم من طريق مصعب بن سعد عن عدي بن حاتم قال الترمذي (حديث غريب).

الصلاة والسلام إلى أنه سيوجد رجال يسمون الخمر بغير اسمها ويسمون الزنا بغير اسمه ثم يقولون ما هذا حرم الله - تعالى - في كتابه فعليكم به لا بأس - ألست ترى أقوامًا يقولون إن المسكر الذي يتخذ من العسل وما يماثله ليس بخمر ثم أحلوه، فأولئك الذين فيهم قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ما قال، وأقوامًا يقولون إذا وطيء الرجل أمة ابنه فذلك حلال له، فأولئك قوم أركسوا على وجوههم وغرتهم الأماني فسوف يعلمون غدًا من الكذاب الأشر، ألست ترى أقوامًا يذعنون لأقوالهم ويجدون في صدورهم استحلال ما أحلوه حتى إنهم كادوا يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله - تعالى - ألست تراهم إذا قيل لهم دعونا من أقوال الناس فهم قد يصيبون وقد يخطئون وعليكم بالكتاب وبما حكاه الصادق المصدوق عليه السلام من أمر الله - تعالى - قالوا: ﴿**إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون**﴾[1] [سورة الزخرف، الآية: ٢٣] وخطأوا هذا الرأي بل عسى أن يقتلوهم إن استطاعوا، **فأولئك هم المشركون حقًا،** ولقد اقشعر جلدي حين بلغني ما يسرد في الأساطير عن رجل

---

(١) في المطبوعة (لمقتدون).

اعترفوا له بالفضل أنه قال لو تجلى الله ـ سبحانه ـ يوم القيامة على غير صورة فلان ما رأيته فقد حط بالله ـ سبحانه ـ درجته عن فلان فإن صدقت الرواية، فليس بمعذور عند الله تعالى.)[1].

* **وقال الإمام إسماعيل الدهلوي** في كتابه تقوية الإيمان وتبعه أبوالحسن الندوي في رسالة التوحيد واللفظ له: استفحال فتنة الشرك والجهالة في الناس:

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر، وأصبح التوحيد الخالص غريبًا، ولكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك، ويدعون الإيمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك وتلوثوا به، **فمن المهم قبل كل شيء** أن يفقه الناس معنى الشرك والتوحيد، ويعرفوا حكمهما في القرآن والحديث.

مظاهر الشرك وأشكاله المتنوعة:

ومن المشاهد اليوم أن كثيرًا من الناس يستعينون بالمشايخ والأنبياء، والأئمة[2] والشهداء، والملائكة، والجنيات عند

---

(١) البدور البازغة ص ١٦٧ ـ ١٧٠.

(٢) يعني أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة، وأحاطوهم بهالات من التقديس والتعظيم ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على الغيب، ويفسرون الإمامة تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة، بل منافسة لها في كثير من =

الشدائد، ويصرخون بأسمائها، ويسألون منها قضاء الحاجات وتحقيق المطالب، وينذرون لها، ويقربون لها قرابين لتسعفهم بحاجاتهم، وتقضي مآربهم، وقد ينسبون إليها أبناءهم طمعًا في رد البلاء، فيسمى بعضهم ابنه بعبدالنبي وبعضهم بعلي بخش، وحسين بخش، وبير بخش، ومدار بخش[١]، وسالار بخش[٢] **ولا بأس بما نقوله في الأنبياء من الحب والتقدير، أما إذا عدلناهم بالله،**

= الخصائص، وقد تأثر أهل السنة بكثير من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء، وحكم الاختلاط بهم، والجهل بالإسلام **قاله معرب الكتاب أبوالحسن الندوي.**

(١) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري، أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند، ينسبون إليه من الوقائع الغريبة ما يأباه العقل والنقل، وإليه نسب شهر من شهور السنة في التقويم المنتشر عند العامة وأهل القرى في الهند ودخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس، وهو مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضيات البهلوانية، كانت وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤هـ. **قاله أبوالحسن الندوي.**

(٢) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند، نسجت حوله أساطير كثيرة، وشخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافي علميًا وتاريخيًا، ذكر ابن بطوطة في رحلته، وقال إنه فتح أكثر تلك البلاد، وله أخبار عجيبة، =

واعتقدنا أنهم والله ـ جل وعلا ـ بمنزلة سواء، كان ذلك شركًا، لاشك فيه، ولكننا لا نقول بذلك، بل نعتقد بالعكس، إنهم خلق الله وعبيده، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم، (فهماً)[١] مما أكرمهم الله وخصهم به، فلا يتصرفون في العالم إلا بإذن منه ورضاه، فما كان نداؤنا لهم، واستعانتنا بهم إلا نداء لله واستعانة به، ولهم عند الله دالة ومكانة ليست لغيرهم، قد أطلق أيديهم في ملكه، وحكمهم في خلقه، يفعلون ما يشاؤون، وينقضون ويبرمون، وهم شفعاؤنا عند الله، ووكلاؤنا عنده، فمن حظى عندهم، ووقع عندهم بمكان، كانت له حظوة ومنزلة عند الله، وكلما اشتدت معرفته بهم، اشتدت معرفته بالله، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة، والحجج الداحضة، التي ما أنزل الله بها من سلطان.

= وغزوات شهيرة، مات شهيدًا سنة ٥٨٨هـ، ودفن في مدينة بهرائج في الولاية الشمالية في الهند، قال في «نزهة الخواطر»: بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء، والناس يفدون إليه من بلاد شاسعة، ويزعمون أنه كان عزبًا شابًا لم يتزوج، فيزوجونه كل سنة، ويحتفلون لعرسه وينذرون له أعلامًا فينصبونها على قبره، **قاله أبو الحسن الندوي**.

(١) هكذا في الأصل لعل الصواب (فهو).

والسر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله وحديث رسوله وراءهم، وسمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه، وتشبثوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ ونقل صحيح، واحتجوا بتقاليد خرافية، وعادات جاهلية، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله وعنوا بتحقيقه، لعرفوا أنها نفس التأويلات، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها في عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، ويحاجونه بها، ولم يقبلها الله منهم، بل كذبهم فيها فقال في سورة يونس: **﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السماوات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾** [سورة يونس، الآية: ١٨] وقد علمنا من هذه الآية أنه لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد، وتنفع شفاعته من استشفع به، وما شفاعة الأنبياء إلا بإذن ربهم، **﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون﴾** [سورة الأنبياء، الآية: ٢٨] فإذا ناداهم أحد، أو صرخ باسمهم، أو لم ينادهم ولم يصرخ باسمهم، فلا يتحقق إلا ما يريده الله وما يأمر به.

حقيقة شرك أهل الجاهلية وضلالهم:

وكذلك تبين أن الكفار الذين كانوا في عصر النبي ، صلى الله عليه وسلم، لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله ، ويرونهم مع الله بمنزلة سواء، بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون لله ، ولم يكونوا يعتقدون أبدًا أن آلهتهم لا يقلون عن الله قدرة وقوة، وهم، والله في كفة واحدة فما كان كفرهم وشركهم إلا نداءهم لآلهتهم، والنذور التي كانوا ينذرونها لهم، والقرابين التي كانوا يقربونها بأسمائهم، واتخاذهم لهم شفعاء، ووكلاء فمن عامل أحداً بما عامل به الكفار آلهتهم ، وإن كان يقر بأنه مخلوق وعبد، كان هو وأبوجهل في الشرك بمنزلة سواء .

خلال الشرك وأعماله:

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الإنسان أحدًا بالله ، ويساوي بينهما، بلا فرق، بل إن حقيقة الشرك أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعارًا للعبودية، أن يأتي بها لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه، والنذر له ، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، وكل ذلك يثبت به الشرك، ويصبح الإنسان به مشركًا، وإن كان يعتقد أن هذا

الإنسان، أو الملك، أو الجني الذي يسجد له أو يذبح، أو ينذر له، أو يستغيث به، أقل من الله شأنًا، وأصغر منه مكانًا، وأن الله هو الخالق وهذا عبده وخلقه، لا فرق في ذلك بين الأولياء والأنبياء، والجن والشياطين، والعفاريت، والجنيات فمن عاملها هذه المعاملة كان مشركًا، لذلك وصف الله اليهود والنصارى، الذين غلوا في أحبارهم ورهبانهم، مثلما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف به عباد الأوثان والمشركين، وغضب على هؤلاء، الغلاة المنحرفين، كما غضب على غلاة المشركين، فقال: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا، لا إله إلا هو سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ [سورة التوبة، الآية: ٣١].

وقد ذكر أن جميع الخلق سواءً كانوا علماء أو عبادًا، حكامًا أو ملوكًا، كلهم عبيد خاضعون، عاجزون ضعفاء، لا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا، ولا يملكون إذا بعثهم الله، وطلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين، طائعين منقادين، يقول الله ـ تعالى ـ في سورة مريم: ﴿**إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبدًا لقد أحصاهم وعدهم عدًا وكلهم آتيه يوم القيامة فردًا**﴾ [سورة مريم، الآيات: ٩٣ ـ ٩٥]، فظهر أنه

هو المتصرف وحده، وأنه لا يملك أحدًا غيره ولا يمكنه فيه، وأن الناس يأتون ربهم فرادى لا يمنع أحد آخر، وقد تضافرت الآيات على ذلك وكثرت.

ومن تأمل في آيتين أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي سردناها، وغيرها من الآيات التي لم يتسع المجال لذكرها، عرف الفرق بين الشرك والتوحيد، وتجلت له حقيقتهما، وقد آن الأوان لأن نذكر الخلال والأعمال التي خصصها الله بذاته العلية، ولم يأذن لغيره أن يكون له نصيب منها، وهي كثيرة يطول ذكرها، ولكن لابد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء الفهم الذكي أن يقيس عليها، ويميز بين الحق والباطل، والهدى والضلال.

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى:

وفي مقدمة هذه الأمور، أنه من شأن الله وحده أن يكون حاضرًا وناظرًا في كل مكان، يعلم ما دَقَّ وجَلَّ، وبَعُدَ أو دَنَا، أو خَفِيَ أَوْ ظَهَرَ، لا تخفى عليه خافية في أي وقت، لا فرق في ذلك بين نور وظلمة، وبين سماوات وأراضين، وبين قمم الجبال، وأغوار البحار، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، صفة خاصة بالله - تعالى - لا يشاركه فيها أحد، فمن كان يلهج باسم أحد من الخلق،

ويناديه قائمًا وقاعدًا، وعن قرب وبعد، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء، ودفع الأعداء، ويختم ختمة باسمه، أو يراقبه ويركز فكره عليه، ويصرف همته إليه، متمثلًا صورته كأنه يشاهده، ويعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب، أو تمثل صورته، أو قبره، واستحضرهما، علم بذلك وعرفه، وأنه لا يخفى عليه من أمره شيء، وأنه مطلع على ما ينتابه من مرض وصحة، وعسر ويسر، وموت وحياة، وحزن وسرور، ولا يتفوه بشيء من كلام، وتنطق به شفتاه، ولا يساوره هم من الهموم، ولا يجول بخاطره معنى، إلا وعلم ذلك، واطلع عليه، كان بذلك مشركًا، وكل ذلك يدخل في الشرك.

ويسمى هذا النوع «**الإشراك في العلم**» وهو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله، وإن كان هذا الإثبات لنبي أو ولي، أو شيخ أو شهيد، أو إمام[1] أو سليل إمام، أو عفريت أو جنية، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته، أو يعلم أنه منحة من الله، وعطاء منه، وقد استقل بهذا العلم، وأصبح له صفة لا تنفك عنه كل ذلك شرك.

---

(١) يعنى أئمة أهل البيت قاله معرب الكتاب: الشيخ أبوالحسن الندوي.

التصرف المطلق بالإرادة، والقدرة لكماله من خصائص الله تعالى:

والشيء الثاني يجب أن يعتقد الإنسان، أن التصرف في العلم بالإرادة، وإصدار الأمر والنهي، والإماتة والإحياء كما يشاء، والبسط والقبض في الرزق، والإفاضة بالصحة والمرض، والفتح والهزيمة، وتسخير القضاء والقدر لإنسان، يكون النصر دائمًا حليفه، ويكون محظوظًا لاتزال أموره في إقبال أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا، ويلج به الخذلان، وإنجاح المطالب وتحقيق الأماني، ودفع البلايا، والإغاثة في الشدائد، وإلهاف الملهوف، وإنهاض العاثر، هذه كلها من خصائص الله ـ تعالى ـ لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء والأولياء، والشهداء والصلحاء، والعفاريت والجنيات، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم، وطلب منه حاجاته، وقرب القرابين والنذر لأجل ذلك، أو استصرخه في نازلة، كان مشركًا، ويقال لهذا النوع «**الإشراك في التصرف**» سواء اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم، أو يعتقد أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ وهبهم هذه القدرة، وخلع عليهم هذه الكرامة.

أعمال العبادة وشعائرها، خاصة بالله تعالى:

والشيء الثالث أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ خص أعمال التعظيم لنفسه، وهي التي تسمى «**عبادة**» كالسجود والركوع، والوقوف بخشوع وتواضع (**مثلاً يضع يده اليمنى على اليسرى**)[1] وانفاق المال باسم من يعتقد فيه الصلاح أو العظمة، والصوم له، وقصد بيته من أنحاء بعيدة، وشد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يؤم بيته حاجًّا زائرًا، والهتاف باسمه في الطريق كالتلبية، والتجنب من الرفث والفسوق، والقنص وصيد الحيوانات، ويمضي بهذه الآداب والقيود، ويطوف بالبيت، ويسجد له، ويسوق الهدي إليه وينذر النذور هناك، ويكسو ذلك البيت، كما تكسى الكعبة، والوقوف على عتبته، والإقبال على الدعاء والاستغاثة، والسؤال لتحقيق

(١) كما كان يقف السيد بين يدي سادتهم في مجلس الملوك في بلاد العجم.

قاله معرب الكتاب أبو الحسن الندوي.

قلت: ومن هذا القبيل مانرى كثيراً في القبورية الجهلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يضع أحدهم يده اليمنى على اليسرى قائمًا بأتم خشوع وخضوع متوجهًا إلى القبر الشريف ويخشعون أكثر من خشوعهم لله في الصلاة.

مطالب الدنيا والآخرة، وبلوغ الأماني، وتقبيل حجر من أحجـ
هذا البيت والالتزام بجداره، والتمسك بأستاره، وإنارة السرٍ
والمصابيح حوله تعظيمًا وتعبدًا، والاشتغال بذاته، والقيا
بجميع الأعمال التي يقوم بها السدنة من كنس وإنارة، وفرش
وسقاية، وتهيئة أسباب الوضوء والغسل، وشرب ماء بئره تبركًا
وصبه على الجسم، وتوزيعه على الناس، وحمله إلى من لم يحضر
والمشي مدبرًا عند العودة، حتى لا يولي البيت دبره، واحترا
الغاية التي تحيط به، والتأدب معها، فلا يقتل صيدها، و
يعضد شجرها، ولا يختلي خلاها، ولا يرعى ماشية في حماها.

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده، وأفردها لنفسه
فمن آتى بها لشيخ طريقة، أو نبي، أو جني، أو لقبر محقق،
مزور، أو لنصب، أو لمكان عبادة، عكف فيها أحد الصالحي
على العبادة والذكر والرياضة، أو لبيت، أو لأثر من آثار أحـ
الصالحين، يتبرك به، أو شعار يعرف به، أو يسجد لتابوت
يركع له، أو يصوم باسمه[1] أو يقف أمامه خاشعًا متواضعًا
واضعًا، إحدى يديه على الأخرى، أو يقرب له حيوانًا، أو يـ

---

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين والصالحات من الأمة، قد ظهر
في العصر القديم في الهند، وقد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجـ

بيتًا من هذه البيوت من بعيد، فيشد إليه الرحل، أو يوقد السرج فيه تعظيمًا وتعبدًا، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستورًا[1]، أو يغرز علمًا، أو عودًا باسمه[2] وإذا رجع

لها، ولهذا الصوم أحكام وآداب في النية والأفطار، وأيام محدودة، ويطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يصام بأسمهم، والاستعانة بهم، وقد شنع على ذلك الإمام الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي (المتوفى ١٠٣٤هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه، وعده إشراكًا في العبادة، (رسالة رقم ٣/ ٤١ رسائل الإمام أحمد بن عبدالأحد)، قاله أبو الحسن الندوي.

(١) اعتاد الغلاة في تعظيم الأموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء والصالحين بالستور والثياب، ويعاملونها معاملة الأحياء من المشايخ والعظماء، **قاله أبوالحسن الندوي** وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية، **يقول الشيخ علي محفوظ الحنفي** في كتابه «**الإبداع في مضار الابتداع**»: «ولكن خدمة الأضرحة سولها لهم الشيطان، ذلك ليفتح لهم بابًا من الأرزاق الخبيث، فتراهم إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام، أو إذا بلى، يوهمون العوام أن بها من البركة مالا يحاط به، وإنها نافعة في الشفاء من الأمراض، ودفع الحساد وجلب الأرزاق والسلامة من كل المكارة، والأمن عن جميع المخاوف، فتهافت عليها البسطاء، وهان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها، (الابداع ص ٩٦ ـ ٩٧).

(٢) وهي من عادات الغلاة والجهال في الهند **قاله أبوالحسن الندوي**.

رجع على أعقابه، أو يقبل القبر، أو يحرك المراوح عليه، ليذب الذباب، كما يفعل الخدم مع أسيادهم الأحياء، أو ينصب عليه سرادقًا، أو يقبل عتبته، ويضع اليمنى على اليسرى، ويتضرع إليه، أو يجلس على ضريح سادنًا وقيِّمًا، ويتأدب مع ما يحيط به من أشجار وآجام، وأعشاب، فلا يتعرض لها بإهانة أو إزالة، إلى غير ذلك من الأعمال والالتزامات، فقد تحقق عليه الشرك، ويسمى «**إشراكًا في العبادة**» سواءً اعتقد أن هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها، وأنها جديرة بذلك، أو اعتقد أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء، وأن الله يفرج الكرب ببركة هذا التعظيم.

علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى:

الرابع أن الله علم عباده طرقًا يستقيم بها إيمانهم، وتنزل البركة في حياتهم الدنيا، وتتحقق بها مطالبهم، منها النذر لله في الشدة، ونزول البلاء، والنداء باسمه عند كربة وضيق، وافتتاح كل عمل باسمه، والذبح له حين يرزقون ولدًا شكرًا لله ـ تعالى ـ وتسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد والعبودية، كعبد الله، وعبدالرحمن، وهبة الله، وجاد المولى، وعطاء الله، وأمة الله،

وعـطية الـرحمن(١)، وتخصيص جزء من حواصـل المزارع وثمار البساتين باسم الله ـ تعالى ـ وتخصيص جزء من المال، والماشية، ونذره لله ـ تعالى ـ وتعظيم الهدي والقلائد لبيت الله، وامتثال أوامـره، والانتهاء عن نواهيه في المأكل، والمشرب، والملبس، واعتقاد أن كل ما يصيبه من خير وشر، ومجاعة، ورخص وغلاء، وصحة وسقم، وفتح وعزيمة، وسعد وشقاء، ومساعدة الحظ وتخلقه، وحزن وفرح، كله في قبضته، والإحالة إلى مشيئته قبل ذكـر إرادته، فيقول سأعمل كذا إذا شاء الله، وتعظيم اسمه تعـظيمًا تتجلى فيه قدرة الله، وعجز العبيد، فيقول مثلاً ربي، وسيدي، وخالقي، وإذا أراد أن يحلف يحلف باسمه، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره، فمن أتى بذلك للأنبياء والأولياء والشهداء، والعفاريت والجنيات، مثلاً ينذر لها إذا ألمت به كربـة، أو نزلت به ضائقـة. أو ينادي بأسمائهـا عنـد مرضـه أو نزالة أو يفتـح عمله بأسـمائها وإذا رزق ولدًا، نذر لها نذورًا أو سمى

---

(١) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد، وتنم عن العقيدة الصحيحة كـ «خدا بخش) يعني هبة الله، «الله ديا» يعني عطية الله، غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب، تسهيلاً للقارىء العربي **قاله أبوالحسن** الندوي.

أولاده، بعبد النبي، أو «إمام بخش» أو «بير بخش» ويخصص جزءًا من الحبوب أو الثمرات لها، ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وثمار، ثم يستعمله في أغراضه ويخصص من المال وقطعان الأنعام، أموالاً ودوابًا ثم يتأدب معها فلا يضربها، ولا يزجرها عن العلف والتبن ولا يضربها بعصًا أو حجر أدباً وتعظيمًا، ويتمسك بالعادات القديمة، والأعراف الشائعة في الأكل والشرب، واللباس ويتقيد بها كما يتقيد بأحكام الشريعة، فيحرم طعامًا ولباسًا لأناس ويحظرهما على طبقة (كالذكور والإناث ويبيعهما لأخرى، **فيقول**: إن الطعام الفلاني لا يقربه الرجال)[1]، وإن الطعام الفلاني لا تقربه الجواري، ولا تقربه المرأة التي تزوجت بزوج ثان وإن الخبيص الذي يعد باسم الشيخ عبدالحق[2] لا يأكله من يستعمل

---

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يمنع منه الرجال دون النساء، فلا يأكلونه، ولا يقربونه **قاله أبوالحسن الندوي**.

(٢) يعني الشيخ عبدالحق الدهلوي من كبار المشايخ والمربين ومن أئمة الطريقة الجشتية في الهند، ولد ونشأ في «ردولي» من توابع لكناؤ، وكان له شأن رفيع في التوحيد وتعظيم الشريعة، والمحافظة على الفرائض والسنن، ودعاء

النارجيلة[1] وينسب مايحدث من خير وشر، وماينتاب من بؤس ورخاء، إلى هؤلاء المشايخ والأولياء، **فيقول**: إن فلانًا أدركته لعنة فلان، فجن، وفلان طرده فلان فافتقر، وفلان أنعم عليه فلان فساعده الحظ، وحالفه الإقبال، وأصابت الناس المجاعة بنوء كذا، ونوء كذا، وفلان بدأ عمله يوم كذا، وفي ساعة كذا فلم يوفق، ولم يتم، أو **يقول**: إن شاء الله ورسوله كان كذا، أو يقول: إن شاء شيخي وقع كذا، أو يضفي على من يعظمه أسماء وصفات تختص بالله، وهي من نعوت العظمة والكبرياء، والغنى عن الخلق، والقدرة المطلقة، والجود الذي لا نهاية له، أو القهر والجبروت، مثل المعبود، وأغنى الأغنياء، وإله الآلهة، ومالك الملك، وملك الملوك، أو يحلف بالنبي، أو بعلي، أو بأحد أولاده (الذين يسميهم الشيعة الأئمة الاثني عشر) أو بشيخ، أو بقبره، كل

= الخلق إلى الله، والتجريد والتفريد، توفي سنة ٨٣٦هـ، وقد اخترع الغلاة والجهال في الهند طعامًا خاصًا يسمونه بـ «زاد الشيخ عبدالحق» يركب من السميد والسكر، وله آداب، وقيود يحافظ عليها بشدة. الخبيص: الحلواة المخبوصة وخبص الشيء بالشيء: خلطه. **قاله أبوالحسن الندوي**.

(١) يعني الشيشة. **قاله أبوالحسن الندوي**.

ذلك يتحقق منه الشرك ويسمى «**الإشراك في العبادة**» يعنى أن يعظم غير الله في الأعمال التي اعتادها تعظيماً، لا يليق إلا بالله.

وهذه الأنواع الأربعة للشرك، قد جاء ذكرها صريحًا في القرآن والحديث»[١].

بعد ذكر هذه النماذج التي أوردها علماء الحنفية لبيان أن الشرك واقع في هذه الأمة، يتبين لك أن كل هذا يدحض قول من زعم أن الشرك الأكبر لا يمكن أن يظهر في أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، ويتضح لكل ذي لب أن صورًا متنوعة ومتعددة من الشرك الأكبر قد وقعت وتقع في أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، ويكفي للتدليل على وقوعه قول النبي، صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان**»[٢] وفي لفظ «**حتى يعبد فئات من أمتي الأوثان**».

---

(١) رسالة التوحيد ص ٢٥ ـ ٤٤.

(٢) أخرجه أبوداود وكتاب الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها ح (٤٢٥٢) وأصله عند مسلم ٤ / ٢٢١٥ وقال الألباني عنه في تحذير الساجد ص (١٢٠) (على شرط مسلم).

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس حول ذي الخلصة**»[1] وكانت صنمًا تعبدها دوس في الجاهلية بتبالة.

وقوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبَد اللات والعزى. .**»[2]

فهذه الأمور المذكورة في الأحاديث وإن لم تقع بظاهرها حتى الآن فإنها واقعة لاشك ولكن قد ظهر في الأمة عبادة المخلوقين من أولياء وغيرهم وصرف العبادة إليهم من ذبح ونذر ودعاء واستغاثة وغير ذلك وهذا شرك أكبر لا ينكره إلا جاحد.

وقد حذر النبي صلى الله عيه وسلم من الشرك الذي لا ينتبه

---

(١) أخرجه البخاري كتاب الفتن تغير الزمان حتى تُعبد الأوثان ١٣/ ٧٦ ح ٧١١٦ ومسلم كتاب الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة ٤/ ٢٢٣٠ ح (٢٩٠٦) كلاهما من طريق ابن المسيب عن أبي هريرة.

(٢) أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة ٤/ ٢٢٣٠ ح ٢٩٠٧ من طريق أبي سلمة عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ.

إليه كثير من الناس حيث قال: «**أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل**»(١).

فإن قال قائل: كيف يقر إنسان بالخالق - سبحانه وتعالى - وبالقيامة وبالبعث وبشرائع الإسلام، ثم تطلقون عليه الكفر أو الشرك لكونه معتقدًا في ملخوق فيما لا يقدر عليه إلا الله أو هاتفًا

---

(١) أخرجه أحمد ٤/٤٠٣ وابن أبي شيبة في المصنف ٦/٧٠ - ٧١ ح (٢٩٥٤٧) باب التعوذ من الشرك والبخاري في التاريخ الكبير (٥٨ كنى) جميعهم من طريق رجل من بنى كاهل عن أبي موسى الأشعري قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢٣ «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط ورجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي ووثقه ابن حبان).
وأبويعلى في مسنده (١/٦٠ - ٦٢) ح (٥٤ - ٥٥ - ٥٦) من حديث حذيفة عن أبي بكر مرفوعًا ومن حديث معقل بن يسار عنه مرفوعًا وذكره الحافظ في المطالب ٣/١٨٣ وعزاه إلى مسند إسحاق بن راهويه ورواه أبوبكر المروزي في مسند أبي بكر ص (٥٥) والبخاري في الأدب المفرد ص (١٠٥) من رواية معقل عن أبي بكر مرفوعًا رواه الحكيم الترمذي ص ٣٩٧ قال الهيثمي في المجمع ١٠/٢٢٤ (رواه أبويعلى عن شيخه عمرو بن الحصين العقلي وهو متروك) وقال الألباني في صحيح الجامع ١/٦٩٤ ح ٣٧٣١ صحيح وأبو نعيم في الحلية ٧/١١٢ من حديث قيس بن حازم عن أبي بكر وصححه الألباني في صحيح الجامع ١/٦٩٣ ح ٣٧٣٠.

باسمه داعيًا له؟ هذا مع أنهم لا يرضون بتسميتهم مشركين، بل ينفرون من ذلك أشد النفور.

فالجواب أن يقال: إن المسلم قد يطرأ عليه من الاعتقادات الفاسدة كاعتقاد التأثير في كوكب أو اعتقاد النفع والضر لمخلوق وغير ذلك، أو قد يطرأ عليه أعمال كالسجود لغير الله وغير ذلك فهذه الأمور وما يشاكلها ترفع عنه اسم الإسلام، وتخلع عليه اسم الكفر والشرك ويصير بذلك مشركًا مرتدًا، وإلا فكيف كفّر الصحابة منكري الزكاة وقاتلوهم وأجمعوا على ردتهم بذلك؟، وما معنى كتاب الردة؟ وما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «**لا يحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى خصال ثلاث.. والتارك لدينه..**»[1] وقوله: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[2].

فكيف يقال بعد ذلك أن المسلم لا يقع منه شرك أبدًا وأن من اتصف باسم الإسلام لا يمكن أن يطرأ عليه كفر أو شرك ناقل عن اسم الإسلام. وإنما غاية ما يقال إنه لا يطلق على المسلم المعين اسم الشرك والكفر إلا بعد بيان النصوص له وإقامة الحجة عليه بحيث لا يكون له شبهة جهل أو تأوُّل أو غير ذلك، فإن لم يبق له حجة ولم يبق ثم إلا العناد والجحود والمكابرة

(١) أخرجه البخاري (٨/٣٨) كتاب الديات ومسلم (٣/١٣٠٢) رقم (١٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٠) كتاب استتابة المرتدين.

والإصرار فهو لا شك حينئذ مستحق لاسم الشرك والكفر.

ولا يظننن ظان أننا بهذا نتعجل في تكفير الناس الموحدين وإطلاق اسم الشرك عليهم فإن ألفاظ الشرك والكفر ألفاظ وردت في الشرع، ولا تطلق إلا بضوابطها الشرعية وكما لا يجوز تكفير المسلم بغير حق، كذلك لا يصح عدم تكفير المشرك فعلاً أو من ارتد عن الإسلام حقًا، وقد وجد في السلف من كفر أناسًا بأعيانهم لأنهم استحقوا اسم الشرك والكفر، وإلا فهل يتصور أن نحجم عن إطلاق اسم الكفر عمن قال: أنا أنطق بالشهادتين وأصلي وأصوم، وأزكي وأحج، لكني أقول إن أحمد القادياني رسول من عند الله أو أقول إن روح الإله حلت في جسد السيد البدوي.. الخ؟

إن الحق أعز وأغلى من كل أحد، ولا ينبغي أن تكون تهمة التكفير سيفًا مسلطًا على رقاب أهل الحق يمنعهم من إطلاق اسم الكفر على من يستحقه، مع تحقق الشروط الشرعية كالعلم من جانب فاعل الشيء وانتفاء الموانع كالإكراه مثلاً.

وللعلامة الألوسي الحنفي كلام في غاية من الدقة والاحتياط في تكفير القبورية عبدة القبور وأصحابها مؤيدًا كلامه بتحقيقات الشيخ ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في عدم التسرع في التكفير إلا بعد

إقامة الحجة وإظهار المحجة قال ـ رحمه الله ـ: «وعباد القبور لم يتوقف أحد من أهل العلم ـ الذين يرجع إليهم ـ في كفرهم. غاية ما قالوا لا يقتل حتى يستتاب ولا يُكفّر حتى تقوم عليه الحجة أو نحو هذا الكلام والمسلمون لم يكفرهم أحد من أهل العلم ولشيخ الإسلام نصوص أخرى ننقلها تتميمًا للفائدة»[1].

ثم ساق عدةنصوص لشيخ الإسلام في تحقيق هذه المسألة.

ولأبي غدة الحنفي تحقيق مهم في عدم التسرع في التكفير إلا بعد إقامة الحجة على من يرتكب الكفر أو الشرك مؤيدًا كلامه بتحقيقات نفيسة لشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أهل العلم من الحنفية وغيرهم.

وحاصل كلامه أنه لا يجوز تكفير أهل البدع إلا إذا ارتكبوا كفرًا بواحًا وشركًا صراحًا وأنكروا ما هو من ضروريات الدين ويقام عليه الحجة ويتضح له المحجة. فبعد ذلك يحكم بكفره وارتداده وخروجه عن ملة الإسلام[2].

---

(١) انظر غاية الأماني ١/ ٣٠ ـ ٣٦.

(٢) انظر التتمة الخاصة من تتمات أبي غدة في آخر كتاب الموقظة للذهبي ص ١٤٧ ـ ١٦٥.

*** قال : شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:**

(وأصل ذلك أن المقالة التي هي كفر بالكتاب والسنة والإجماع ، يقال هي كفر قولاً يطلق كما دلت على ذلك الدلائل الشرعية ، فإن الإيمان من الأحكام المتلقاة عن الله ورسوله ليس بذلك مما يحكم فيه الناس بظنونهم وأهوائهم ولا يجب أن يحكم في كل شخص قال ذلك بأنه كافر حتى يثبت في حقه شروط التكفير وتنتفي موانعه مثل من قال إن الخمر أو الربا حلال لقرب عهده بالإسلام أو لنشوئه في بادية بعيدة أو سمع كلامًا أنكره ولم يعتقد أنه من القرآن الكريم ولا أنه من أحاديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، كما كان بعض السلف ينكر أشياء حتى تثبت عنده أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قالها ، إلى أن قال : فإن هؤلاء لا يكفرون حتى تقوم عليهم الحجة بالرسالة كما قال الله ـ تعالى ـ: **﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾** [سورة النساء، الآية: ١٦٥] وقد عفا الله لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان)[1] .

---

(١) مجموع الفتاوى ١٦٥/٣٥ .

*** وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله ـ:**

«وأما التكفير فالصواب أن من اجتهد من أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، وقصد الحق فأخطأ لم يكفر بل يغفر له خطؤه ومن تبين له ما جاء به الرسول فشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى واتبع غير سبيل المؤمنين فهو كافر ومن اتبع هواه وقصر في طلب الحق وتكلم بلا علم فهو عاص مذنب ثم قد يكون فاسقًا وقد يكون له حسنات ترجح على سيئاته»[1] ا. هـ.

وقال في موضع آخر: «هذا مع أني دائمًا ومن جالسني يعلم ذلك مني أني من أعظم الناس نهيًا عن أن ينسب معين إلى تكفير، وتفسيق، ومعصية إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي خالفها كان كافرًا تارة، وفاسقًا أخرى، وعاصيًا أخرى وإني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعم الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية. ومازال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل ولم يشهد أحد منهم على أحد بالكفر، ولا بفسق، ولا معصية. **وذكر أمثلة ثم قال**:

وكنت أبين أن ما نقل عن السلف والأئمة من إطلاق القول

---

(١) مجموع الفتاوى ١٢/ ١٨٠.

بتكفير من يقول كذا وكذا فهو أيضًا حق لكن يجب التفريق بين الإطلاق والتعيين، إلى أن قال:

والتكفير هو من الوعيد، فإنه وإن كان القول تكذيبًا لما قاله الرسول، صلى الله عليه وسلم، لكن قد يكون الرجل حديث عهد بإسلام أو نشأ ببادية بعيدة ومثل هذا لا يُكفّر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجة وقد يكون الرجل لم يسمع تلك النصوص أو سمعها، ولم تثبت عنده أو عارضها عنده معارض آخر، أوجب تأويلها وإن كان مخطئًا.

وكنت دائمًا أذكر الحديث الذي في الصحيحين في الرجل الذي قال: **«إذا أنا مت فاحرقوني ثم اسحقوني ثم ذرّوني في اليم فوالله لئن قدر الله عليّ ليعذبني عذابًا ما عذبه أحدًا من العالمين. ففعلوا به ذلك فقال الله: ما حملك على ما فعلت قال خشيتك فغفر له»**[(١)]

فهذا رجل شك في قدرة الله وفي إعادته إذا أذري بل اعتقد أنه لا يعاد وهذا كفر باتفاق المسلمين، لكن كان جاهلاً لا يعلم ذلك، وكان مؤمنًا يخاف الله أن يعاقبه فغفر له بذلك.

والمتأول من أهل الاجتهاد الحريص على متابعة الرسول،

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١٤٤، ١٥١) كتاب الأنبياء ومسلم (٤/٢١١٠) رقم (٢٧٥٦).

صلى الله عليه وسلم، أولى بالمغفرة من مثل هذا»[١] ا. هـ.

*** قال: ابن عثيمين:**

«فإن قال قائل هل تكفّرون أهل التأويل أو تفسقونهم؟

قلنا: الحكم بالتكفير والتفسيق ليس إلينا بل هو إلى الله - تعالى - ورسوله، صلى الله عليه وسلم، فهو من الأحكام الشرعية التي مردها إلى الكتاب والسنَّة، فيجب التثبت فيه غاية التثبت فلا يكفر ولا يفسّق إلا من دل الكتاب والسنة على كفره أو فسقه والأصل في المسلم الظاهر العدالة بقاء إسلامه وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى الدليل الشرعي.

ولا يجوز التساهل في تكفيره أو تفسيقه لأن في ذلك محذورين عظيمين:

أحدهما: افتراء الكذب على الله - تعالى - في الحكم وعلى المحكوم عليه في الوصف الذي نبزه به.

الثاني: الوقوع فيما نبز به أخاه إن كان سالمًا منه. ففي صحيح مسلم[٢] عن عبدالله بن عمر - رضي الله عنهما - أن

---

(١) مجموع الفتاوى ٣/ ٢٢٩.

(٢) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: ياكافر (١/ ٧٩) ح (١١١).

النبي صلى الله عليه وسلم. قال: «**إذا كفَّر الرجل أخاه فقد باء بها أحدهما**»[١].

وفي رواية: «**إن كان كما قال وإلا رجعت عليه**»[٢] وفيه عند أبي ذر - رضي الله عنه - عن النبي، صلى الله عليه وسلم: «**ومن دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه**»[٣].

وعلى هذا فيجب قبل الحكم على المسلم بكفر أو فسق أن ينظر في أمرين:

أحدهما: دلالة الكتاب أو السنة على أن هذا القول أو الفعل موجب للكفر أو الفسق.

الثاني: انطباق هذا الحكم على القائل المعين أو الفاعل بالمعين بحيث تتم شروط التكفير أو التفسيق في حقه وتنتفي الموانع **ومن أهم الشروط** أن يكون عالمًا بمخالفته التي أوجبت أن يكون كافرًا أو فاسقًا لقوله تعالى: ﴿**ومن يشاقق الرسول من**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٧٩) رقم (٦٠).

(٢) كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩).

(٣) أخرجه مسلم كتاب الإيمان باب بيان حال من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١/ ٧٩) ح (١١٢).

بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جنهم وساءت مصيراً﴾[سورة النساء، الآية: ١١٥].

وقوله: **﴿وما كان الله ليضل قومًا بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون إن الله بكل شيء عليم إن الله له ملك السموات والأرض يحيي ويميت ومالكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾**
[سورة التوبة، الآيتان: ١١٥، ١١٦].

ولهذا قال أهل العلم: لا يكفّر جاحد الفرائض إذا كان حديث عهد بإسلام حتى يبين له ومن الموانع أن يقع ما يوجب الكفر أو الفسق بغير إرادة منه ولذلك صور: فيها: أن يكره على ذلك فيفعله لداعي الإكراه لا اطمئنانًا به فلا يكفر حينئذ.

لقوله تعالى: **﴿من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم﴾** [سورة النحل، الآية: ١٠٦]. ومنها أن يغلق عليه فكره فلا يدري ما يقول لشدة فرح أو حزن أو خوف أو نحو ذلك. ودليله ما ثبت في صحيح مسلم[١] عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال، قال رسول الله، صلى الله عليه

---

(١) صحيح مسلم (٤/٢١٠٤) كتاب التوبة حديث رقم (٢٧٤٧).

وسلم: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح» (١).

ومن هذا يتبين لنا كلام أهل العلم وضوابطهم الشرعية في مسألة التكفير والله أعلم.

---

(١) القواعد المثلى في صفات الله الحسنى ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩.
والحديث أخرجه البخاري (١٤٦/٧) كتاب الدعوات ومسلم (٢١٠٤/٤) رقم (٢٧٤٧).



الخاتمـــة

لقد تعددت نتائج هذا البحث بحسب ما عرض فيه من القضايا.

ومن أهم هذه النتائج:

١ ـ أن لعلماء الحنفية جهودًا مشكورة في الرد على أهل البدع **القبورية** وبيان الشرك وأنواعه ووسائله ومظاهره في بعض المجتمعات الإسلامية.

٢ ـ أن كثيرًا من المسلمين يجهلون **حقيقة التوحيد** لذا وقعوا في أنواع الشرك من حيث لا يشعرون.

٣ ـ أن مفهوم الشرك عند بعض المسلمين هو **عبادة الحجر والشجر والصنم** فقط لذا أشركوا مع الله في الطاعة والانقياد والمحبة والعبادة وما حصل ذلك منهم إلا لجهلهم بحقيقة العبودية والشرك.

٤ ـ أن الشرك بكل صوره ومظاهره **ليس إلا امتهانًا للإنسان** وإذلالاً له حيث يلزمه الخضوع للمخلوقات والعبودية

للأشخاص وهم لا يملكون ضرًّا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا.

٥ ـ أن الشارع احتاط أعظم الحيطة من كل قول وفعل وقصد يكون شركًا أو وسيلة إلى الشرك.

وفي الختام:

فهذا جهد المقل فلابد من خلل وهفوة فإن التقصير والعيب من صفات المخلوقين فرجائي من القارىء الكريم التماس العذر لكل نقص وهفوة.

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن يوفقنا جميعًا لهدي كتابه والسير على سنة رسوله، صلى الله وسلم على نبينا محمد والله من وراء القصد.

وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الصف والإخراج : مركز خدمة المؤلف هاتف: ٤٦٢٠٦٩١

يطلب من:
مؤسسة الجريسي للتوزيع
الرياض ١١٤٣١ - ص.ب: ١٤٠٥
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ - ٤٠٣٩٣٢٨
جدة: ☎ ٦٨٢٦١٠٥ - الدمام: ☎ ٨٢٦٠٤٣٧
المدينة: ☎ ٨٣٨٠٥٢٩ - القصيم: ☎ ٣٦٤٣٤٦٦
أبها: ☎ ٢٢٢٠٤٨٥

مطبعة سفير تلفون ٤٩٨٠٧٨٠ - ٤٩٨٠٧٧٦ ★ الرياض